البعثة المحمدية وظهور الاسلام

ان الله تعالى فى كل مقدور من الامور اذا دنا نذيرا وبشيرا ، يُظهر بهما مبادىء ما اخفاه ، ويُشعر بحلولهما قدُره وقضاه ؛ ليكونا تعذيرا وتحذيرا ، تستيقظ بهما العقول ، ويزدجر بهما الجهول ؛ لطفا بعباده من فُجاءة الامور المذهلة أن تُصدم ببوادر لاتستدرك ، لتكون النفوس فى مُهلة تمكن من استدفاع خَطبها ، وحل صعبها .

ولهذا لما دنا مبعث رسول الله ﷺ الى الخلق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، انتشر فى الامم أن الله تعالى سيبعث نبيا فى هذا الزمان ، وأن ظهوره قد قَرُب وآن ، فكانت كل أمة لها كتاب ، تعرف ذلك من كتابها ، والتى لا كتاب لها ترى من الآيات المنذرة ماتستدل عليه بعقولها ، وتنتبه اليه بهواجس فِطَرِها ، وقد بشر بنبوة رسول الله ﷺ الأنبياء السابقون ، ليكون ذلك حجته على أممهم ، وعلامة صدقه عند غيرهم ، فيكون عونا للرسول وحثا على القبول ، ومن ذلك دعوة ابراهيم الخليل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ..) ، وبشارة موسى فى التوراة ، وبشائر الذين جاءوا بعده من بنى اسرائيل ، ثم بشارة عيسى فى الانجيل ، وكلها متناصرة بصحة نبوته ، متواترة الاخبار بتأييد شريعته ، ومنهم من عيّنه باسمه ، ومنهم من ذكره بصفته ، ومنهم من عزاه إلى قومه ، ومنهم من أضافه الى بلده ، ومنهم من خصه بأفعاله ؛ ومنهم من ميزه بظهور دينه على الأديان ، وانتشاره ، وقد حقق الله تعالى ببعثه جميع ماذكروه ، حتى صار جليا بعد الاحتمال يقينا بعد الارتياب

Obeikandi.com

فاذا روينا أن اليهود والنصارى كانوا يبشرون برسول الله – قبل مبعثه – ويقولون قد آن أوان ظهوره ، فما كان ذلك أمرا ابتدعوه ، ولكنه أمر دينهم اتبعوه ، وصريح كتابهم الذى قرءوه والى النّاس بلّغوه ، وعهدُ انبيائهم اليهم أعلنوه ، مع اختلاف معتقدهم وتباين كتبهم التى عرفوا منها النبي بوصفه ووصف زمانه ، وتحدثوا بأمره قبل ظهوره

وقد مر بك حديث كل من بحيرا ونسطورا ، حينما رأيا من أحواله ماينطبق على ماعندهما فى الكتب .

ومثل هذا ماحدث به عاصم بن عمرو بن قتاده قال : لم يكن فى بنى عبد الاشهل الا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمعه يقول . قد أظلّكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت – ثم أشار بيده إلى بيت الله – فمن أدركه فليصدقه ، فبُعث رسول الله فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم ، حسدا وبغيا

وروى عن عثمان بن عفان قال . خرجنا فى عير إلى الشام قبل أن يبعث رسول الله ، فلما كنا بأفواه الشام وبه كاهنة فتعرضتنا فقالت : أتانى صاحبي (تريد تابعها) فوقف على بابى ، فقلت ألا تدخل ؟ فقال لاسبيل إلى ذلك ، خرج أحمد وجاء أمر لايطاق ؛ قال عثمان : فرجعت الى مكة ، فوجدت رسول الله قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل

وهذا النوع من الاخبار يسمى هواتف الجن وهواجسها . وبهذه المناسبة رأيت ان اذكر قصة سواد بن قارب ،

روى محمد بن كعب قال : بينا عمر بن الخطاب ذات يوم جالسا ،

إذ مر به رجل ، فقيل له اتعرف هذا المار ياأمير المؤمنين؟ قال ومن هو؟ قالوا هذا سواد بن قارب : رجل من أهل اليمن وكان له رَئي من الجن ، فأرسل اليه عمر ، فقال أنت سواد بن قارب؟ قال نعم ياأمير المؤمنين ، فقال أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي ﷺ؟ قال نعم : بينما انا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، اذ أتاني رَئيّ من الجن ، فضربني برجله وقال: قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالي ، واعقل ان كنت تعقل ، انه قد بعث رسول لله من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى وإلى عبادته وانشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها　　وشدها العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى　　ماصادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم　　ليس قُدّامها كأذنابها

فقلت له دعني فقد أمسيت ناعسا ولم ارفع بما قال رأسا ، فلما كانت الليلة الثانية أتاني (وذكر نحوا مما مضى نثرا وشعرا) . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني (وذكر أيضا نحوا مما ذكر) قال فاصبحت وقد امتحن الله تعالى قلبي للاسلام فرحَلْتُ ناقتي واتيت المدينة فاذا رسولُ الله ﷺ واصحابه ، فقلت اسمع مقالي يارسول الله فقال هات فانشأت

اتاني نجيي بعد هَدْءٍ ورقدة　　ولم أك فيما قد نجوت بكاذب

إلى أن يقول يخاطب رسول الله فيها

فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى　　وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة　　سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى الفرح في وجوههم ، قال : فوثب اليه عمر فالتزمه وقال : قد كنت أحب أن

أسمع منك هذا الحديث ، فهل يأتيك رئيك اليوم؟ فقال أما مذ قرأت القرآن فلا ، و نعم العوض كتاب الله من الجن

والأخبار من هذا القبيل مستفيضة وبخاصة فى سبب مسارعة الأنصار إلى الاسلام ومبايعة النبي فى العقبة

وقد أجد من المناسب ذكر هذه القصة :

حدث عاصم بن عمرو عن رجال من قومه قالوا : ان مما دعانا إلى الاسلام — مع رحمة الله تعالى وهداه لنا — أن كنا نسمع من رجل من يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون ، قالوا لنا : انه تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم ، فلما بعث رسول الله ﷺ ، اجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرنا اليه فآمنا به ، وكفروا ، ففينا وفيهم نزلت (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون (يستنصرون) على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين)

ويروى أن اليهود كانوا يقولون إذ ذاك : اللهم ابعث هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس .

وكانت هذه الأخبار قبل البعثة النبوية بمثابة تمهيد لها حتى لا تحصل فجأة ، وحتى يكون الناس على انتظار وشوق لحصولها ، ولقد سمى بعضهم ابنه محمدا رجاء أن يكون النبي المنعوت ، الذى ينتظر الناس بعثته ، بل لقد طمع أمية بن أبي الصلت الثقفى (أمه رقية بنت عبد

شمس بن عبد مناف) أن يكون ذلك النبي ، وقد قرأ كتاب الله الأول ، فكان يأتى فى شعره بأشياء لا تعرفها العرب ، ولبس المسوح تعبدا ، وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، وشك فى الأوثان ، والتمس الدين وطمع فى النبوة ، لأنه قرأ فى الكتب أن نبيا يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه ، فلما بعث النبي ﷺ قيل له : هذا الذى كنت تستريث (تستبطىء) وتقول فيه ، فحسده عدو الله وقال : انما كنت أرجو أن أكونه ، فأنزل الله فيه (واتل عليهم نبأ الذى ءاتينه ءايتنا فانسلخ منها ،)وهو الذى يقول

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

وهنالك أمر عظيم ظهر فى العرب قبيل مبعثه ﷺ وهو بمثابة استعداد لتلقى دعوته بالقبول . ذلك هو تنبه الأفكار إلى ماهم فيه من الفوضى الدينية ، وسخطهم على العقائد الفاسدة والأخلاق السافلة ، وتنافسهم فى الخلال الحميدة ، وترفع كثير من ساداتهم عن الانحطاط إلى درجات السوقة ومن على شاكلتهم ؛ والا فما بالهم يعقدون حلف الفضول مثلا ؛ ألم يك لقطع دابر الظلم والبغى ، ورعاية مصالح الأجانب وهو ما يدعو اليه الدين ويحث عليه ، ثم ما بالهم يفتدون الموءودات ، ويمدون يد المعونة للذين يقتلون أولادهم من أملاق . أليس هذا وذاك نزوعا منهم إلى استئصال هذه العادات الوحشية ، التى لا يقول بها عقل ولا يرتضيها دين ؛ وأن انحطت منزلتها إلى أسفل الدرجات ؟

ثم ما بال كثير منهم يحرم الخمر على نفسه . أليس ذلك ترفعاً منهم عن الانحطاط إلى مستوى البله والمجانين ؟

وهذا إلى كثير من النزعات التى تدخل فى عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وذلك من نوع ما جاءهم به رسول الله ﷺ ، لا يختلف عنه ، فلا ينفرون منه اذا جاءهم به ، بل يسارعون إلى قبوله ، ويقومون معه فيما يدعو اليه

والقصة الآتية من قصص تنبه الأفكار قبل البعثة النبوية:

كان نفر من قريش عند صنم لهم يجتمعون اليه قد اتخذوا له يوما من كل سنة عيدا ، وكانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ؛ فدخلوا عليه فى ليلة ميلاد رسول الله فرأوه مكبوبا على وجهه ، فأنكروا ذلك . فأخذوه فردوه إلى حاله ، ثم خلص أربعة منهم نجيا وهم :

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وزيد بن عمرو بن نفيل من بني عدى بن كعب بن لؤى ، وعُبيد الله بن جحش من بنى أسد بن خزيمة ، وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى — فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، فقال لهم ورقة ابن نوفل : تعلّموا والله ما قومكم على دين ، ولقد أخطئوا الحجة ، وتركوا دين ابراهيم ؛ ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم الدين ؛ فخرجوا عند ذلك يضربون فى الأرض ، ويسألون عن الحنيفة دين ابراهيم عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر ، وقرأ الكتب حتى علم علما وأعجب بالنصرانية ، وكأنه لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ، فلذا أخبر بشأن النبي وبشر به ، وتمكن من دين النصارى وكتابهم بحيث صار

يتصرف في الانجيل فيكتبه ان شاء بالعربية ، وان شاء بالعبرية ، وهو أحد من آمن بالنبي قبل البعث .

وأما عثمان بن الحويرث ، فسار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ، ويقال انه قال لقيصر : اني أجعل لك خرجا على قريش ان جاءوا الشام لتجارتهم ، والا منعتهم ، فهم قيصر أن يفعل ، ويروى انه توّجه وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا أن يدينوا لملك وصاح قائلهم : ألا إن مكة لَقَاح ، لاتدين لملك ، فلم يتم له مراده ، فعاد إلى الشام ، فيقال ان قريشا دست إلى عمرو بن جفنه الغسّانى فسمه فمات هنالك .

وأما زيد بن عمرو ، فخرج فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقى بها راهبا عالما ، فأخبره بالذى يطلب ، فقال له الراهب : انك لتطلب دينا لاتجد من يحملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك ، يُبعث بدين الحنيفية ، وهذا من بشارة أهل الكتاب الأول أيضا ، ثم أقبل زيد إلى الشام ، فشام اليهودية والنصرانية ولم يرض شيئا منهما ، وخرج يريد مكة ، فلما توسط أرض لخم عدوا عليه فقتلوه ، وكان عمه الخطاب قد آذاه أذى كثيرا ، فمنعه أولا أن يخرج لالتماس الحنيفية ، فاعتزل الأوثان ، وفارق الأديان كلها ، ووحد الله تعالى ، وخلع من دونه ، وحرم الميتة والدم والذبائح التى تذبح للأوثان ، حدث عبد الله بن عمر أن النبي لقى زيدا قبل أن يبعث ، فقدمت إلى النبي سفرة فأبى زيد أن يأكل منها ، وقال : إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه ،

وان زيد بن عمرو يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم يذبحونها على غير اسم الله ــ انكارا لذلك واعظاما له

خرج زيد فارا من أذى عمه إلى أعلى مكة ، فوكل عمه به شبابا من قريش وسفهاء من سفهائهم ، وقال لهم : لاتتركوه يدخل ، فكان لايدخل مكة إلا سرا ، فاذا علموا به أخرجوه وآذوه ، كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، أو يتابعه أحد إلى ماهو عليه .

مات زيد رحمه الله وقريش تبنى الكعبة ، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة ، وقد روى عن رسول الله ﷺ فى حق زيد أنه قال : يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وأما عبيد الله بن جحش ، وهو أخو أم المؤمنين زينب بنت جحش ، فأقام بمكة ، حتى بعث النبي ﷺ ، ثم أسلم ، ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر ، وفارق الاسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا ، وكانت معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فثبتت على اسلامها حتى تزوجها رسول الله ﷺ

اليست نزعة هؤلاء واجماعهم على التماس الحنيفة وشعورهم بوجوب الاصلاح الدينى ، من نوع تنبه الافكار وتيقظ المشاعر والحواس ، توطئة وتمهيدا بين يدي مبعث رسول الله الذى جاء بالهدى ودين الحق ليخرج الناس بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ؟

أما أن الأنبياء السابقين بشروا به ، وأنه ورد فى كتبهم ، وأنهم عاهدوا أممهم على اتباعه فقد جاء به الكتاب العزيز والسنة النبوية ،

فمن ذلك قول الله تعالى : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلك إصرى ؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا ، وأنا معكم من الشاهدين ، وقوله: الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورىة والانجيل . وقوله : وإذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التورىة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (على الرسم العثمانى) .

وأما من السنة فقد روى البخارى : مابعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ، ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بعث محمد وهم أحياء ، ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه :

وبذلك تحدثت أمم هؤلاء النبيين من بعدهم ، وعنهم غالبا تحدث الحزاة (الكهان) الذين زعموا أن رئيهم من الجن يخبرهم أو نحو ذلك

أما رسول الله ﷺ ، فانه مع ذيوع هذه الأمور وتواتر الاخبار بها ، قد كان غافلا عنها ، لايعلم أنه المرادُ بها ، والمؤهل اليها ، ولم يشعر بها حتى نودى ، ولا تحققها حتى نوجى ، ليكون أبعد من التهمه ، وأسلم من الظنة ، فيكون برهانه أظهر ، وحجاجه أقهر ، وكان — مع تميزه عن قومه بشرف أخلاقه ، وكرم طباعه — لم يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا ، وكان متدينا بفرائض العقول السليمة ، من توحيد الله وقدمه وحدوث العالم وفنائه وشكرا لمنعم ، وتحريم الظلم ووجوب الانصاف وأداء الأمانة ، فسلم قبل مبعثه من حرج فى دينه ، وقدح فى يقينه ،

وهذا من أمارات الاصطفاء ، ومقدمات الاجتباء .

ولما جد الامر فى النبوة ودنا وقتها ، حبب الله الى رسوله الخلاء بغار حراء ، بعد أربعين سنة من عمره ، حين تكامل نهاه ، واشتدت قواه ، ليكون متهيئا لما قدر له ، ومتأهبا لما أريد به ، فكان يختلى فى غار بحراء فى ذوات العدد من الليالى ، قيل شهرا فى السنة على عادة كانت لقريش فى التبرز ، بالمجاورة بحراء ، ثم يعود الى أهله : الى أن استدام الخلاء به ، فكان يؤتى بطعامه وشرابه ، فيأكل منه ، ويطعم المساكين ، برهة من زمانه ، وهو غافل عن النبوة ، وان كان أمرها فى الناس موهوما ، وعند أهل الكتب معلوما ، فلم يزل على خلوته الى أن أظهر الله له أمارات نبوته ، فايقظه بها بعد الغفلة ، وبشره بعد المهلة ، ثم بعثه رسولا بعد البشرى ، على تدريج ترتبت فيها أحواله ، ليتوطأ لتحمل اثقالها ، ويعلم لوازم حقوقها ، بحيث أن النبوة لا تفجؤه بغتة فيذهل ولا تخفى عليه حقوقها فينكل (يجبن) ، وكان ذلك من الله لطفا به وانعاما عليه .

وكان هذا التدرج على أحوال ، نقل فيهن من منزلة الى منزلة حتى بلغ غايتها

الاولى : الرؤيا الصادقة فى منامه بما سيؤول اليه أمره ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، وكان ذلك اذكارا بالنبوة ، ليروض الله لها نفسه ويختبر حواسه ، فيقوم بها اذا بعث وهو عليها اقوى ، وبها املى

الثانية : نزول جبريل عليه بوحى من ربه أنه نبى الله ورسوله ، ليعلمها عيانا ، ويعتقدها يقينا ، حتى لا يعتوره وهم ولا يخالجه ريب

روى الزهرى عن عائشة أن رسول الله ﷺ لما جاءه الحق ، أتاه جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله ، فقال رسول الله : فجثوت لركبتى وأنا قائم ، ثم رجعت ترتجف بوادرى ، ثم دخلت على خديجة فقلت زملونى زملونى ، حتى ذهب عنى ، ثم أتانى فقال يا محمد أنا جبريل ، وأنت رسول الله ، ثم قال . اقرأ قلت ما أقرأ ؟ فأخذنى فغتّنى ، (وروى : غطنى : ضمنى وعصرنى ، وبالتاء حبس نفسى) ثلاث مرات حتى بلغ منى الجهد ، وقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسن من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسن مالم يعلم) ، فجئت خديجة ، فقلت لقد خشيت على نفسى (وكان أشق شىء عليه أن يقال عليه مجنون ،أو خشى ان يقتله قومه) ، واخبرتها خبرى ، فقالت أبشر فوالله لايحزنك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وتحمل الكلّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق — ثم انطلقت بى إلى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها ، وخرج فى طلب الدّين ، وقيل قرأ التوراة والانجيل وتنصر — وقالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألنى ، فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموس الذى نزل على موسى ، يعنى جبريل عليه السلام — ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك ، قلت : أو مخرجى هم ؟ قال نعم ، انه لم يجىء رجل قط بما جئت به الاعودى ، ولئن يدركنى يومك ، لانصرنك نصرا مؤزرا

هذا والحكمة فى الغتّ ثلاثا شغل النبى عن الالتفات لشىء آخر ، واظهار الشدة والجد فى الأمر ، وان يأخذ الكتاب بقوة ، تنبيها على ثقل القول الذى سيلقى اليه .

وانما قال ورقة : الناموس الذى نزل على موسى ولم يقل عيسى ، مع أنه كان نصرانيا ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتابين ، بخلاف عيسى ؛ فكثير من اليهود ينكر نبوته

وقيل أن خديجة ذهبت إلى ورقة أولا ؛ فلما قصت عليه القصة قال: ان كنت صدقتنى انه ليأتيه ناموس عيسى الذى لا يُعلّمه بنو اسرائيل أبناءهم ؛ بحسب ما هو فيه من النصرانية ، ولما ذهبت برسول الله اليه فأخبره قال له ناموس موسى

ثم لم ينشب أن توفى ورقة ، وفتر الوحى فترة ؛ حتى حزن رسول الله ﷺ حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من شواهق الجبال ؛ فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه (خشية أن تكون عقوبة من الله أو حزنا على مافاته من بشارة ورقة ، ولم يرد بعدُ شرع بالنهى عنه فيُعترض به) تبدى له جبريل فقال له يامحمد إنك رسول الله حقا ؛ فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فاذا طالت عليه الفترة غدا لمثل ذلك ، فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

وكان الغرض من هذه الفترة ان يتشوق الى العود بعد أن يذهب عنه ما كان يجده من الروع ، وكانت مدتها ثلاث سنين ـ ثم عاد اليه جبريل بالقرآن العظيم ، فكان أول مانزل من القرآن بعد اقرأ :(ن والقلم ومايسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجرا غير ممنون ، وأنك لعلى خلق عظيم ، فستبصر ويبصرون) نزل عليه ذلك ليزداد ثباتا ولنفسه استبصارا .

والثالثة أنه أمر بعد النبوة بالانذار فصار به رسولا ، ونزل عليه

القرآن بالامر والنهى فصار به مبعوثا ، ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار ليختص بمن أمنه ، ويشتد بمن أجابه ، فنزل عليه (يأيها المدثر قم فأنذر) فتمت بذلك نبوته بالوحى والانذار .

والرابعة أنه أمر بعموم الانذار ، والجهر بالدعاء الى الاسلام بعد الاسرار ، فانزل الله عليه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه كما سيجيء .

ثم أمره أن يبدأ بعشيرته الأقربين فقال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون) فصعد رسول الله ﷺ الصفا ، فهتف : ياصاحباه ، يابنى عبد المطلب ، يابنى عبد مناف ، حتى ذكر الأقرب فالأقرب من قبائل قريش ، فاجتمعوا اليه وقالوا مالك ؟ قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أما كنتم تصدقون ؟ قالوا بلى ، ما جربنا عليك كذبا ، قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب تبالك ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) إلى آخر السورة .

وروى أنه لما نزلت هذه الآيات قام رسول الله فقال : يا فاطمة بنت محمد ، ياصفية بنت عبد المطلب ، يابنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم

ثم استمر ﷺ يدعو الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده راد ، يتبع الناس فى انديتهم ومجامعهم ومحافلهم وفى المواسم ومواقف الحج ، يدعو من لقيه من حر

وعبد وضعيف وقوى وغنى وفقير : جميع الخلق فى ذلك عنده شرع سواء.

وقبل أن نذكر ما كان من مواقف قومه منه حينما دعاهم نقول :

ان المصطفى ﷺ كان أول من آمن وصدق بما جاءه من عند الله ، قَبِلَه بقبوله ، وتحمل منه ما حمل ، وللنبوة أحمال ومؤن لا يستضلع بها الا أولو العزم من الرسل ، لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله

وأول من آمن به من النساء خديجة ، صدقته ووازرته ، فخفف الله بها عنه ، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه أو تكذيب فيحزنه ذلك ، الا فرج الله بها عنه ، اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس — وكان جبريل قد علمه الوضوء والصلاة ، فحاكت النبي فى ذلك كله سرا

ثم جاء على بن أبى طالب فرآهما يصليان فقال ما هذا يا محمد؟ فقال دين الله الذى بعث به رسله ، فأدعوك الى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، فأسلم على وهو ابن تسع أو نحوها : وكان فى حجر رسول الله ؛ ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .

اسلام أبى بكر — وأول من أسلم من الرجال الأحرار : أبو بكر الصديق ، واسلامه كان أنفع من اسلام من تقدموه ، إذ كان صدرا معظما ، ورئيسا فى قريش مكرما ، وصاحب مال وجاه ؛ لقى رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا....؟ فقال له النبي : بلى انى رسول الله ونبيه ، بعثني لا بلغ رسالته وادعوك إلى الله الحق ، ادعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد

غيره ، فأسلم وكفر بالاصنام ورجع وهو مؤمن مصدق .

ولما أسلم أظهر إسلامه ودعا الى الله عز وجل ، وكان رجلا مؤلفا لقومه محببا فيهم سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خُلق ومعروف ؛ وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه : الزبير بن العوام الاسدى ؛ وعثمان بن عفان الاموى ، وطلحة بن عبيد الله التيمى ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف الزهريان ، وأبو عبيدة بن الجراح الفهرى ، والأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، وعثمان بن مظعون الجمحى ، وأبو سلمة ابن عبد الاسد المخزومى ، فانطلقوا الى رسول الله ثمانيتهم ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الاسلام وقرأ القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فأسلموا وصلوا ، فكانوا الذين سبقوا فى الاسلام .

والملحوظ فى هؤلاء السابقين أنهم كانوا من بيوت قريش العظيمة وأنهم كانوا من أعيان هذه البيوت وقادتها وسادتها ، أريد من وراء ذلك أن أنبه (١) الى أن كل بيت من بيوت الشرف فى قريش كان فيه واحد يمثل الاسلام ويدعو إليه ويذب عنه ، (٢) ثم إلى أن النواة الأولى لعصبية الاسلام كانت قوية ، إذ كان فيها قُدى الناس واشرافهم ، فلا عجب إذا تابعهم الناس فدخلوا معهم فيما دخلوا فيه ، سواء أكانوا من صميم بيوتهم ، أم من حلفائهم أم مواليهم ؛ نعم ؛ لقد دخلوا فى الاسلام أرسالا (جماعات متتابعين) ، رجالا ونساء ، حتى فشا الاسلام فى مكة

وتُحدث به ، وأسلمت بيوت برمتها كبيت بنى جحش ، وصار عدد المسلمين أكثر من أربعين . فيهم الرجل وامرأته كجعفر بن أبى طالب وامرأته اسماء بنت عميس الخثعمية ، وسعيد بن زيد بن عمرو وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عُمَر ؛ والرجل واخوته وابنه كعثمان وقدامة وعبد الله بنى مظعون بن حبيب الجمحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وكانوا جميعا يسرون باسلامهم ، ويصلون وهم مستخفون ثلاث سنين

مباداة رسول الله قومه

ثم أن الله تعالى أمر نبيه أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادى الناس بأمره : وأن يدعو إليه ، فقال : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) .

فصدع بالأمر ، وواجههم به جهارا ، لايخص بعضا دون بعض ، فلم يك من قريش بادىء الرأى مباعدة له ، وإن ردوا عليه بعض الرد ، بل كانوا غير منكرين لما يقول ، وكانوا يقولون اذا مر عليهم : هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء ؛ حتى ذكرا آلهتهم ، وعابها ، وسفه احلامهم فى عبادتها ، وعند ذلك أجمعوا على خلافه ، وتظاهروا بعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون ، وكانوا إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب ، واستخفَوا بصلاتهم من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب النبى فى شِعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم مايصنعون ، حتى قاتلوهم ، فضرب سعد يومئذ رجلا منهم بلَحْى بعير (ركبة) فشجه ، فكان أول دم أريق فى الاسلام.

وهكذا شرعت قريش تتحدى رسول الله وأصحابه. فاما رسول الله فقد حدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، وكذلك صنع بنو هاشم ماعدا أبي لهب ؛ وصنع بنو المطلب ؛ فمضى على أمر الله مظهرا له لايرده عنه شيء ، ولكن أصحاب الرسول تعرضوا للأذى ؛ ومن أمثلة ذلك : أن نوفل بن خويلد أخذ أبا بكر وطلحة ، حينما أسلما ، فشدهما في حبل واحد ، وكان نوفل يسمى أسد قريش فلم يمنعهما منه بنو تيم ، فما بال بقية المسلمين ! على أن رسول الله نفسه قد اعتدى عليه مرارا .

وكان من أشد أعداء الرسول عمه أبو لهب ، وامرأته أم جميل حمالة الحطب أخت ابي سفيان ؛ وخالفه في ذلك أخوه أبو طالب ، مع أنه على دين قومه ، وهذا من حكم الله تعالى ، إذ لو أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ، ولا كانوا يهابونه ، ولاجترءوا عليه ، ولمدوا أيديهم والسنتهم بالسوء اليه .

روى أن رسول الله قام بسوق ذى المجاز وهو يقول : يأيها الناس ، قولوا لااله إلا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : أيها الناس ، لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم ، فاذا هو عمه أبو لهب .

وقد حذا حذو أبي لهب في تكذيبه رسول الله ، جماعة من قريش كانوا لايشكون في صدقه قبل الاسلام ، فاما جاءهم به كذبوه ، فمنهم من كذبه حسدا ، ومنهم من كذبه عنادا ، ومنهم من كذبه استبعادا أن يكون نبيا أو رسولا ، ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة ، لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة ، ومن لزم الصدق في صغره ،

كان له فى الكبر ألزم ، ومن عصم منه فى حق نفسه ، كان فى حقوق الله أعصم

ولكن رسول الله ﷺ جاهد فى الله حق جهاده ، حتى خصم قريشا حين جادلوه ، وصابرهم حين عاندوه ، وجمعهم كثير وجمهم غفير ، إلى أن علت كلمته ، وظهرت دعوته ، وكابد من الشدائد مالم يثبت عليها الا معصوم

وبهذه المناسبة نقول أنه كان بين قريش وبين رسول الله من الاحداث مانسرده على الوجه الآتى :

المرحلة الاولى

الشكوى إلى أبى طالب

لما رأت قريش أن رسول الله لا يعتبهم من شىء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حدب عليه ولم يسامه لهم ، اتبعوا الطرق الآتية :

(١) مشى رجال من أشرافهم وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وأبو البَخْتَرِى العاصى ابن هشام بن الحرث ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وأبو جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة ، ونُبَيْه ومُنَبه ابنا الحجاج بن عامر ، والعاص ابن وائل بن هشام ، فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلى بيننا وبينه ، فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه — فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا ، وردهم ردا جميلا ، فانصرفوا ، ومضى رسول

الله على أمره يظهر دين الله ويدعو اليه .

(٢) ثم شرى الامر بينهم وبينه (انتشر الشر) ؛ حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، واكثرت قريش ذِكر الرسول بينها، فتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ، ومشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : إن لك سناً وشرفا ومنزلة فينا ، وقد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وانا والله لا نصبر على هذا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وايك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ، وانصرفوا

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ، ولم يطب نفسا باسلام رسول الله لهم ولا خذلانه ، فبعث اليه فقال له يابن اخى إن قومك قد جاءوني فقالوا لى كذا وكذا ، فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الامر مالا أطيق ، فظن الرسول أنه قد بدا لعمه فيه بُدُو ، وانه خاذله ومُسْلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ماتركته : ثم استعبر فبكى وقام ، فناداه أبو طالب فقال : أقبل يابن اخى ، فاقبل عليه ، فقال : اذهب فقل ما أحببت ، فو الله لا اسلمك لشيء ابدا

(٣) ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله واسلامه . مشوا اليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، شقيق خالد بن الوليد ، فقالوا ياأبا طالب هذا عمارة بن الوليد . أنْهَدُ فتى في قريش (أقوى وأجلد) وأجمله ، فخذه ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا ، فهو لك ، وأسلم الينا ابن أخيك فنقتله ، فإنما هو رجل برجل — قال والله لبئس ماتسومونني ،

أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون أبداً ، ارأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمه ؟ (تعطف عليه) فقال له المطعم بن عدى : والله لقد انصفك قومك ، واجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال والله ما أنصفوني ، ولكنك أجمعت خذلاني ، ومظاهرة القوم علىّ ، فاصنع ما بدالك ، فحقب الامر (أشتد) وحَمِيَت الحرب ، وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا

ثم تذامروا على من في القبائل منهم من أصحاب الرسول الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبي طالب ، الذي قام (عندما رأى قريشا تصنع ما تصنع) في بنى هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ماهو عليه من منع رسول الله والقيام دونه ، فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوا الى ما دعاهم اليه ، من الدفع عن رسول الله ، الا ما كان من أبي لهب فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره ، من جدهم معه وحدبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل الرسول فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم

(٤) ثم أن الوليد بن المغيرة المخزومى اجتمع اليه نفر من قريش ، (وكان سيد عشيرته وافصح قومه ، وكان ذا سن فيهم) وقد حضر الموسم فقال يامعشر قريش ، ان وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمِعوا فيه رأيا واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، قالوا : فأقم لنا رأيا نَقُلْ به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا . نقول : كاهن أو مجنون أو شاعر أو ساحر ، فلم يرض واحدة منها وقال : والله إن لقوله لحلاوة : فتفرقوا عنه ، وجعلوا يجلسون بسُبُل الناس

حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره، فكان ذلك بمثابة اعلان أو دعاية عن رسول الله الى العرب عامة ، اذ صدر الناس من الموسم الى بلادهم ولديهم خبر رسول الله يذكرونه الى قومهم.

فلما انتشر أمر رسول الله فى العرب وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر الرسول — حين ذكر وقبل أن يذكر — من هذا الحى من الاوس والخزرج ، لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم فى بلادهم .

المرحلة الثانية

ايذاء الرسول باليد واللسان

(١) ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله ومن أسلم معه ، فأغروا برسول الله سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر ، والكهانة والجنون ، ورسول الله مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبادلهم (مجاهر) بما يكرهون ، من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم ، فاجتمع أشرافهم يوما فى الحجر يذكرون رسول الله ، فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ... لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فبيناهم كذلك ، إذ طلع رسول الله فأقبل يمشى ، ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول . ثم مر بهم الثانية فغمزوه ، ثم الثالثة فغمزوه ، فوقف فقال : أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كأنما على راسه طائر واقع ، وحتى أن أشدهم

فيه ليقول : انصرف أبا القاسم ، ما كنت جهولا ، وانصرف الرسول حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر أيضا حتى طلع عليهم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد، وخنقوه خنقا شديدا ، وأحاطوا به يقولون له: أنت الذى عبت آلهتنا وديننا؟ فقال لهم نعم أنا . ثم أخذ أحدهم بمجمع ردائه فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فجبذوه من شعره حتى سقط أكثره ، وكان رجلا كثير الشعر

(٢) سبب اسلام حمزة سنة ست من النبوة

مر أبو جهل برسول الله عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه والتضعيف لامره ، فلم يكلمه رسول الله ، ومولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادمن قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل ، متوشحا قوسه راجعا من قنص ، وكان أعز فتى فى قريش وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة ـ وقد رجع الرسول إلى بيته ـ ، قالت له ياأبا عمارة ، لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم ابن هشام ، وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب ، فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به ، ونظر اليه جالسا فى القوم فأقبل نحوه ، ورفع قوسه فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فرد ذلك على إن استطعت ، فقام رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا له ماتراك ياحمزة الا قد صبوت ، قال ومن يمنعنى وقد استبان لى

منه أنه رسول الله ، وأن الذي يقول حق ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فاني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا — وحمزة عم الرسول أخوه من الرضاع ، وكذلك أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى ، ارضعتهم جميعا ثويبة مولاة أبي لهب

وتم حمزة على اسلامه ، فعرفت قريش أن الرسول قد عز وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، ورجع حمزة إلى بيته فوسوس إليه الشيطان بقبح مافعله ، من تركه دين آبائه ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله فى قلبه الايمان ، ونطق بالشهادتين ، وقال : أظهر يابن اخى دينك ، فوالله ماأحب أن لى ماأظلته السماء ، وانى على ديني الاول . فانظر كيف كان ايذاء الرسول سببا فى عطف صناديد قومه عليه ، ومسارعتهم إلى نصرته ؟

المرحلة الثالثة

التحدى وأسئلة التعجيز ، والتكذيب والعناد

(١) وقام عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً فى قومه فقال — ورسول الله جالس فى المسجد وحده — : يامعشر قريش الا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب الرسول يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى قم اليه ، فقام حتى جلس إلى رسول الله فقال يابن أخى ، انك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك

قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، و . . . . فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها ، فقال له قل ، فقال . يابن أخي ان كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت إنما تريد به شرفا، سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رِئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فأنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، فقال له الرسول : استمع منى فقال : أفعل ، فقرأ عليه الآيات الاولى من سورة فصلت، ولما وصل إلى قوله تعالى (مثل صاعقة عاد وثمود) امسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف ، ثم انتهى إلى السجدة منها فسجد ، وقال له أسمعت يا أبا الوليد ماسمعت ؟ فأنت وذاك . فرجع إلى قريش وهو ينتفض انتفاض العصفور، فقالت له قريش لقد ذهبت من عندنا نشيطا ورجعت فزعا مرعوبا فما وراءك ؟ فقال : ورائى أني والله قد سمعت قولا ماسمعت مثله قط ، والله ماهو بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب ، فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ، فقالوا سحرك والله بلسانه ، قال هذا رأيي فيه ، فأصنعوا مابدا لكم

(٢) ولما فشا الاسلام بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء اجتمع

عتبة وأبو جهل وأصحابهما ، وقال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه . ان أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فأتهم ، فجاء سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بَدَاء أى نشأ لهم رأى ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عَنَتهم ، فكلموه بمثل ما كلمه به عتبة بن ربيعة ، فقال لهم فى بعض كلامه : ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم . ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل علىّ كتابا ، وأمرنى أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ماجئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ، قالوا : فان كنت غير قابل منا شيئاً ، فسل ربك أن يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بالادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب ، فانه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول ، أحق هو أم باطل ، فأن صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول ، فقال لهم . ما بهذا بعثت اليكم ، فقالوا : فسل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، وسله فليجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فقال ما أنا بفاعل ، وما بهذا بعثت اليكم ، قالوا : فسله أن يسقط علينا كِسَفا كما زعمت فقال : ذلك الى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : فقد أعذرْنا اليك (ارتفع عنا اللوم) وانا والله لانتركك ومابلغت منا حتى نهلكك أو

تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، فقال : سبحا ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ، وقام عنهم،وقام معه ابن عمته عاتكة وهو عبد الله بن أبى أمية المخزومى فقال له : عرض عليك قومك وعرضوا،فلم تقبل ،ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بهامنزلتك من الله كماتقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ... فوالله لا أومن بك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك بصك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايم الله ان لو فعلت ذلك ماظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف وانصرف النبي الى بيته حزينا .

فقال أبو جهل : أن محمداً قد أبى الا ماترون ، وانى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدالهم ، قالوا لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريده،فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف ، وجلس لرسول الله ينتظره ، وجلست قريش فى أنديتها ، تنتظر ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد الرسول ، احتمل أبو جهل الحجر وأراد أن يلقيه عليه ، فما هو إلا أن نكص على عقبيه منهزما ، فقالوا له : مالك ؟ فقال عرض لى دونه فحل من الابل،مارأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى .

وعند ذلك قال لهم النضر بن الحرث (الذى قتل صبرا فى العودة من بدر) : أنظروا فى شأنكم والله لقد نزل بكم أمر عظيم ما أتيتم له بحيلة بعد ، وكان النضر من شياطين قريش ، وممن كانوايؤذون رسول

الله وينصب له العداوة ، وكان إذا جلس رسول الله مجلسا ، فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم ، خَلَفَه فيه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس وغيرهم ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن مني ؟ فلما قال لهم ذلك بعثوه ، وبعثوا معه عقبه بن أبي معيط (الذى قتل صبرا فى العودة من بدر) إلى أحبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، فانهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء ، فسألاهم فقالوا لهما : سلوه عن ثلاث ، فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ماكان أمرهم ؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ماهى ؟ فعادا فقالا : قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد ، فجاءوا رسول الله فسألوه عنها فقال : أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يقل إن شاء الله ، فأبطأ عليه الوحى خمس عشرة ليلة حتى أرجفه أهل مكة ، وحزن الرسول وشق عليه مايتكلم به القوم ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها أجوبة مسائلهم وأنزل الله عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الارض وبَعْث من مضى من آبائهم (ولو أن قرآنا سُيّرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا) أى لا أصنع من ذلك إلا ماشئت ، وأنزل عليه شيئاً من هذا فى سورة الفرقان (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ....) وفى سورة الاسراء (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ....) فلما جاءهم الرسول بما عرفوا ، وأجابهم عما سألوا

حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فكان إذا جهر رسول الله بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا . وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود ، غدا على قريش في انديتها ضحى يوم من الأيام فسمّى رافعا صوته وقرأ من سورة الرحمن ، فسألوا ماذا يقول ؟ فقيل لهم أنه ليتلو بعض ماجاء به محمد ، فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى الصحابة وقد اثروا في وجهه ، فقالوا له هذا الذي خشينا عليك ، قال ما كان أعداء الله اهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لاغادينهم بمثلها غدا ، قالوا لا ، حسبك ، قد اسمعتهم مايكرهون

(٣) وخرج أبو سفيان وأبو جهل والاخنس بن شريق ، ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لاتعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم ، لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، وعاد كل منهم إلى مجلسه في الليلة الثانية ، ففعلوا مثل مافعلوا ، ثم تلاقوا فقالوا مثل ماقالوا ، ولكنهم عادوا في الثالثة ثم تلاقوا فتعاهدوا على الا يعودوا .

فلما أصبح الاخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال له : أخبرني عن رأيك فيما سمعت ؟ فقال : والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها ، قال الاخنس وأنا

والذى حلفت به ؛ ثم خرج فدخل على أبى جهل بيته ، فقال ياأبا الحكم ، ماراأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف : أطعموا فاطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذينا (الجاذِى ـ الجاثى) على الركب ، وكنا كفرسى رِهَان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندْرك مثل هذه ؟ والله لانؤمن به أبدا ، ولا نصدقه . ـ أى عنادا فقط ، خشية ان تذهب بنو عبدمناف بالشرف كله ـ وهكذا كانوا يفعلون ؛ وكانوا يقولون (قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب) وهذه وأمثالها ، هى حججهم فى كفرهم وعدم اذعانهم .

المرحلة الاخيرة

تعذيب الأصحاب واضطهادهم

ثم عدوا على أتباع رسول الله ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر : من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم

وكان بلال مولى أبى بكر لبعض بنى جمح ، وكان صادق الاسلام ، فكان أمية بن خلف الجمحى يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ؛ ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات

والعزى ، فيقول وهو فى ذلك البلاء : أَحدٌ أَحدٌ أى الله أحد ، حتى مر به أبو بكر وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح ، فقال لأمية : ألا تتقى الله فى هـذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : فأنت الذى أفسدته فأنقذه ، قال : أفْعَل ، عندى غلام أسود ، أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به ، قال قد قبلت ، قال هو لك ، وأخذ أبو بكر بلالا فأعتقه ، وأعتق معه على الاسلام ست رقاب كان بلال سابعهم ، ومنهم عامر بن فهيرة

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه (وكانوا أهل بيت اسلام) إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله فيقول : صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة ، فأما أمه فقتلوها وهى تأبى إلا الاسلام ، وهى أول شهداء هذا الدين ، طعنها أبو جهل بحربة فى قبُلها فقتلها ، ومات ياسر فى العذاب

وكان أبو جهل الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومَنَعة ، أنّبه وخزّاه ، وقال تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ونُفَيِّلَنّ (نقبحن) رأيك ، ولنضعن شرفك ، وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به

حدث ابن عباس قال والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى مايقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك فيقول نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده

وكان من المعذبين أيضا خباب بن الارت الذي قال لرسول الله: أدع لنا، قال: أنكم لتعجلون، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط بأمشاط الحديد، ويشق بالمنشار فلا يرده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف إلا الله عزوجل، والذئبَ على غنمه

الهجرة الى الحبشة

ولما رأى رسولُ الله مايصيب أصحابه من البلاء، وماهو فيه من العافية، لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لايقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم الى الحبشة، فان فيها ملكا لايظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة فى الاسلام، وذلك فى رجب سنة خمس من النبوة، خرجوا سرا من مكة مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار، وخرجت قريش فى آثارهم فلم يدركوا منهم أحدا

قيل كان أول من خرج من المسلمين من بنى هاشم: جعفر بن أبي طالب وامرأته، والأصح أن أول من هاجر عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة فرارا بدينه من أبيه، وزوجه سهلة بنت سهيل، مراغمة لأبيها، فارة عنه بدينها، وقد ولدت بالحبشة محمد بن أبي حذيفة، وعمرو بن سعيد بن العاص

وأخوه خالد وزوجتاهما ، وعبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن مسعود وأخوه عتبة ، ومن بني جمح عثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله وغيرهم ، كأبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، والمعروف أن الذين خرجوا أولا كانوا أحد عشر نفرا وعليهم عثمان بن مظعون أو ليس عليهم أمير ، ويحتمل أنهم أمّروه باختيارهم لم يؤمره عليهم ﷺ ، وتتابع المسلمون حتى كان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمار بن ياسر فيهم : ولما وصلوا الى الحبشة أقاموا عند النجاشي آمنين وقالوا : جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه .

فلما رأت قريش أن أصحاب الرسول قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقرارا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدين الى النجاشي ، فيردهم عليهم ليفتنوهم فى دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، وعمرو بن العاص بن وائل ، واهدوا معهما هدايا إلى النجاشي أصْحَمَه ، وإلى بطارقته ، وكان معهما فى ذلك عمارة ابن الوليد بن المغيرة ، وله مع عمرو بن العاص ، فى سفرهما إلى الحبشة حديث كان من جرّائه أن عمراً مكر به ، وأفسد مابينه وبين النجاشي حتى صنع بعمارة ماجعله يهيم على وجهه بين الوحوش فى الجبال ، حتى مات فى خلافة عمر .

ولما قدم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص الحبشة ، قدّما إلى النجاشي وبطارقته تلك الهدايا ، ثم قالا له : أيها الملك أنه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم : لتردهم عليهم : وهم أعلى بهم عينا (أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، فوافق البطارقة . ورغبوا الى النجاشي أن يسلمهم إليهما ، فغضب النجاشي وقال لا أفعل ، ولا يُكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعوهم ، فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، وأرسل اليهم ، فلما جاءهم رسوله ، تشاوروا فيما يقولون واتفقوا على أن يقولوا ماعلموا ، وما أمرهم به النبي ، فلما جاءوا سألهم ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولادين احد من هذه الملل ؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبي طالب فذكر ماكانوا عليه فى جاهليتهم حتى بعث الله رسوله فدعاهم الى الله . وافراده بالعبادة ، وعدد عليه امور الاسلام ، الى أن قال : فصدقناه وآمنا به واتبعناه ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك ، فقال النجاشي . هل عندك شيء مما جاء به من عند الله ؟ فتلا عليه آيات من سورة كهيعص . فقال النجاشي « إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليكما » .

فلما خرجا فكر عمرو فى النكاية بهم ، وقال والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، وجاء النجاشي فى الغد فقال له · ان القوم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم . فقال جعفر . فى حق عيسى قولا رضيه النجاشي ، وأخذ من الارض عودا ، وقال ماعدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ، ثم قال . اذهبوا فانتم آمنون بأرضى ، ثم قال لبطارقته : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ماجاءا به

فلما قدموا على قريش ، ولم يدركوا ماطلبوا من أصحاب الرسول وردهم النجاشي بما يكرهون ، كان عمر بن الخطاب قد أسلم فى هذه الفترة وكان رجلا ذا شكيمة لايرام من وراء ظهره ، أمتنع به أصحاب الرسول وبحمزة حتى عازّوا قريشاً أى غلبوهم .

اسلام عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام

كان عبد الله بن مسعود يقول : ماكنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة ، وصلينا معه ، وكان اسلامه بعد خروج المهاجرين إلى الحبشة ، وكان يقول إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن امارته كانت رحمة ، مع أنه كان من أقسى الناس على من آمن برسول الله ، فكانوا يلقون منه أذى وبلاء وشدة ، ولما أسلم كان المسلمون بضعة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ، وفيه أنزل الله فى القرآن (يأيها النبي حسبك الله ومن أتبعك من المؤمنين)

ويروي فى حديث اسلامه أن أخته فاطمة ، وكانت عند سعيد بن

زيد بن عمر بن نفيل ، أسلمت واسلم بعدها ؛ وكان يستخفي باسلامه فرقا من قومه ؛ وكان خباب بن الارت التميمي النسب ، الخزاعي الولاء ، يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ؛ ومع الرسول عمه حمزة ، وأبو بكر وعلي ، في رجال من المسلمين ممن كان أقام بمكة ولم يهاجر. فلقيه نعيم بن عبد الله وكان يخفي اسلامه فقال له : إلى أين ؟ قال : أريد محمدا هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ؛ وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له : والله لقد غرتك نفسك ياعمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال وأي أهل بيتي ؟ قال خَتَنُك وابن عمك سعيد ، وأختك فاطمة ، فقد والله لساما فعليك بهما . فرجع عمر إلى أخته وختنه ، وعندها خباب ومعه صحيفة فيها طه ، يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب في ناحية . وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، ودخل عمر فقال : ما هذه الهينمة التي سمعت ؟ فانكرا ، قال بلى ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بسعيد ، فقامت فاطمة لتكفه ، فضربها فشجها ؛ فقالا له قد أسلمنا ؛ فاصنع ما بدالك ؛ فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع فارعوى وقال لها . أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ماهذا الذي جاء به محمد ، (وكان عمر كاتبا) فقالت له : أنا نخشاك عليها ، قال . لا تخافي ، وحلف بالذي يحلف به ليردنها اليها اذا قرأها ، فطمعت في

إسلامه ، وقالت له : إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة فقرآها فأدركته الخشية وقال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، وما ينبغى لمن قال هذا أن نعبد معه غيره ، وعند ذلك ظهر خباب وقال : ياعمر والله إني لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فاني سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ؛ فالله الله ياعمر ، فقال دُلني على محمد حتى آتيه فأسلم ؛ فدله على رسول الله ؛ وكان فى دار الأرقم بن أبي الأرقم مختفيا بمن معه من المسلمين ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد الى الرسول وأصحابه فضرب عليهم الباب ؛ فلما سمعوا صوته ، قام رجل من الصحابة فنظر من خلل الباب ، فرآه متوحشا سيفه ؛ فرجع إلى الرسول وهو فزع ؛ وقال : هذا عمر متوشحا السيف ؛ فقال حمزة : فأذَنْ له ؛ فأن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ؛ وأن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ؛ فقال رسول الله : ائذن له . فأذن له الرجل ، ونهض اليه الرسول حتى لقيه بالحجرة ؛ فأخذ بحُجْزَته أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ، فو الله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ؛ فقال عمر يارسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ، فكبر الرسول تكبيرة عرف منها أهل البيت من الأصحاب أن عمر قد أسلم ، فكبروا تكبيرة سمعت بطرق مكة ، ولما علمت قريش قالوا : انتصف القوم منا ، وتفرق أصحاب الرسول من مكانهم ، وقد عزوا فى أنفسهم ، حين أسلم عمر ، مع اسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان الرسول ، وينتصفون بهما من عدوهم

ولما أسلم عمر قال أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر، فغدا عليه، فقال له: أعلمت يا جميل أنى قد أسلمت وأتبعت دين محمد؟ فلم يراجعه، وقام يجر رداءه حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش — وهم فى أنديتهم حول الكعبة — ألا إن عمر ابن الخطاب قد صبأ، فيقول عمر من خلفه: كذب، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

ويروى أنه قال: لما أسلمت تذكرت أى قريش أشد لرسول الله عداوة حتى آتيه فأخبره انى أسلمت؛ قال قلت أبو جهل؛ فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، فخرج الىّ فقال: مرحبا وأهلا بابن أختى، ما جاء بك؟ قال: قلت جئت لأخبرك انى آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب فى وجهى وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به.

ويروى أنه بعد أن أسلم قال يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا؟ قال بلى، والذى نفسى بيده أنكم على الحق ان متم وإن حييتم، فقلت: ففيم الخفاء يا رسول الله، علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فقال ياعمر إنا قليل، قد رأيت ما لقينا، فقال والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلستُ فيه بالكفر، الا جلست فيه بالايمان، ثم خرجت فى صفين انا فى أحدها وحمزة فى الآخر، حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الينا، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسماه رسول الله يومئذ الفاروق. — هذا وحديث اسلام عمر جاء بروايات شتى

مقاطعة قريش لبنى هاشم وبنى المطلب

وهمت قريش بقتل رسول الله وأجمع ملؤها على ذلك ، وبلغ أمرهم أبا طالب فقال من قصيدة :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم   حتى أُغَيَّب فى التراب دفينا

ولما عامت قريش أنهم لا يقدرون على قتله ، وأن أبا طالب لا يسلمه ، وكانوا على بينة بما هو حاصل من أن أصحاب الرسول الذين هاجروا قد نزلوا بلداً أصابوا بها أمنا وقرارا ، وأن النجاشى قدمنع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم ، فكان هو وحمزة مع الرسول وأصحابه ، وأن الاسلام جعل يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على الا ينكحوا اليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، ولا يكلموهم ولا يجالسوهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله للقتل ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا ، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم — وعند ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب كلهم ـ مسلمهم ايمانا ، وكافرهم حمية على عادة الجاهلية ـ إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شعبه ، فاجتمعوا اليه لم يخرج من بنى هاشم الا أبو لهب ، فظاهر قريشا ، ولقد أنذر أبو طالب قريشا بسوء مغبة هذا الأمر فى قصيدته التى جاء فيها

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى   ويصبح من لم يجن ذنبا كذى ذنب

فلم يستمع له أحد ـ ومن جراء ذلك أقاموا فى الشعب سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا لا يصل اليهم شىء إلا سرا أو مستخفيا ، حتى

وكان أوصلهم لبني هاشم ، هشام بن عمرو العامرى وحكيم بن حِزَام . حتى أنفق أبو طالب ماله ، وانفقت خديجه مالها ، وصاروا الى حد الضر والفاقة ، وكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانوا لا يحجون الا من موسم الى موسم ، وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم ، أمر رسول الله فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرا أو اغتيالا ، فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش النبي ، وأمر النبي أن يأتى بعض فراشهم فينام عليه .

كل هذا ورسول الله يدعو قومه سراً وجهراً بالليل والنهار ، مباديا بأمر الله ، لا يتقى فيه أحداً من الناس ، فجعلت قريش (حينما رأت أن الله منعه منها . وقام عمه وقومه دونه ، فحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به) يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل بما أحدثوا ، وكان منهم أبو لهب وامرأته أم جميل حمالة الحطب ، والعاص بن وائل السهمى ، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحرث وعبدالله بن الزِّبَعرى ، والوليد بن المغيرة الذى قال : أينزل الوحى على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود بن عمير سيد ثقيف ، فنحن عظيما القريتين ؟ وقد اعترض بعضهم رسول الله وهو يطوف بالكعبة فعرضوا عليه مايعبدون ، ويعبدون مايعبد ، فنزلت فيهم سورة الكافرين .

حديث الغرانيق إجمالا

الغرانيق فى الاصل طير الماء ، واحدها غرنوق وغرنيق ، زعموا

أن أصنامهم تقربهم من الله وتشفع لهم ؛ فشبهوها بالطير التي ترتفع في السماء .

بلغ مهاجرة الحبشة إسلام أهل مكة ؛ فاقبلوا حتى دنوا منها ؛ فعلموا أن الخبر بأسلامهم مكذوب ؛ فلم يدخل أحد منهم مكة الا بجوار أو مستخفيا ؛ وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا — وسببه مابلغهم أن رسول الله قرأ سورة النجم حتى وصل الى قوله : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، فزعموا أنه أضاف بعد ذلك (إنها الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فطار ذلك بمكة ؛ وسُر المشركون . وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير ؛ فسجد رسول الله فى آخرها وسجد معه المشركون والمسلمون ، فمن هنا أتصل بالمهاجرين فى الحبشة أن قريشاً أسلموا — وهو حديث خرافة لا أصل له ؛ لأن رواته زعموا أن الشيطان ألقى ذلك فى روع رسول الله وهو يتلو الآيات الكريمة ؛ وهو طعن صريح على عصمة الرسول فى التبليغ عن الله . قال ابن اسحاق : هى من وضع الزنادقة وقال القاضى عياض : إن هذا الخبر لم يخرجه أهل الصحة : ولا رواه ثقة بسند متصل سليم مع ضعف نقلته واضطراب رواياته ؛ وانقطاع أسانيده . وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

والثابت أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون ، سجدوا لبلاغة القرآن ولم يرد ذكر للغرانيق .

هذا ولو صح ماقاله نَقَلةُ قصة الغرانيق ، لارتفعت الثقة بالوحى ، وانتقض الاعتماد عليه ، ولكان الكلام فى الناسخ كالكلام فى المنسوخ ،

يجوز أن يأتي فيه الشيطان مايشاء ، ولانهدم أعظم ركن للشرائع الالهية وهو العصمة ، ولو وقع أن رسول الله ذكر آلهتهم بخير لارتد كثير ممن أسلم ، لانهم إذا سمعوه مع قرب عهدهم بالاسلام : أعتقدوا أن فى الاصنام النفع فمالوا اليها ، ولم ينقل ذلك . ويقال أن شيطانا من شياطينهم ارتصد النبي فى سكتة من السكتات ونطق بهذه الكلمات محاكيا النبي فى نغمه ، بحيث سمع منهم من دنا اليه فظنها من قول النبي وأشاعها . ولكن أين كان النبي ؟ وأين كان الوحى ؟ على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يرد فى نظمهم ولا فى نثرهم ، ولا كان جاريا على ألسنتهم ، ولا شيء من معانى الغرانيق يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطلق عليها فى فصيح القول الذى يعرض على ملوك البلاغة وامراء الكلام — واعلم أن الامنية فى قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى » أن تكون له أمنية من قومه وهى أن يتبعوه ، ويخصوا أهواءهم . فيلقى الشيطان العثرات فى سبيلها بالوسوسة فى صدور الناس ، حتى يثوروا فى وجهه ويعاجزوه ويجادلوه ، ولكن الله غالب على أمره ؛ يبعث نور الحق فيمحق ما ألقاه الشيطان من ظلمات الباطل . ويهب السلطان لآياته فيحكمها ، ويثبت دعائمها ، وينشىء من ضعف أنصارها قوة . وتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الشيطان هى السفلى . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الاض ، وفى هذا كفاية

عود — وكان أبو بكر الصديق قد أوذى كثيراً ، فاستأذن النبي فى الهجرة فأذن له ، فخرج حتى بعد عن مكة يوما أو يومين ، فلقيه سيد القارة ابن الدُّغُنَّة (والقارة من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة . كانوا احلفاء

بني زهرة) فقال له أين تريد ياأبا بكر ؟ فقال له أبو بكر أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي ، فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي ، فقال ابن الدغنة: فان مثلك ياأبا بكر لايَخرج ولايُخرج ، انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع فكف القوم عنه ، غير أنه كان يصلي في مسجده علنا، فمشى رجال قريش الى ابن الدغنة وقالوا له : نخشى على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء ، فلما جاء أبا بكر ذكر له ذلك فقال له : أوأرد عليك جوارك وارضى بجوار الله ؟ قال فاردد عليّ جواري ، قال : قد رددته عليك ، فأعلم ابن الدغنة قريشاً وقال شأنكم بصاحبكم ، هذا وانت ترى أن ابن الدغنة قد وصف الصديق بما وصفت به خديجة رسول الله ﷺ وهو يدل على عظيم فضله وكمال صفاته .

حديث نقض الصحيفة

قام في نقض تلك الصحيفة نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو العامري عامر لؤي (كان أخا نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فكان لبني هاشم واصلا) ، وكان ذا شرف في قومه ، يأتي بالبعير ليلا قد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم . ثم يأتي به قد أوقره براً فيفعل به مثل ذلك .

مشى هشام (أو هاشم) إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ـ وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ـ فقال : يازهير ، أقد رضيت أن تأكل

الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ؛ وأخوالك حيث قد علمت ؛ لايبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم؟ اما انى احلف بالله ان لو كانوا اخوال ابى جهل الحكم بن هشام ، ثم دعوته الى مثل مادعاك اليه منهم ، ما أجابك اليه ابداً — : قال ويحك ياهشام : فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى آخر ، لقمت فى نقضها حتى انقضها ، قال : قد وجدت رجلا ، قال من هو ؟ قال : انا ، قال له زهير : ابغنا ثالثاً ، فذهب الى المطعم بن عدى فأخبره فانضم اليهما ، وقال له ابغنا رابعاً ، فذهب إلى ابى البخترى بن هشام ، فقال له نحواً مما قال لمطعم ، فقال ابغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الاسود فاخبره فقال له : وهل على الامر الذى تدعونى إليه من احد ؟ قال نعم ، وسمى له القوم ، فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، وهنالك أجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : انا ابدؤكم فأكون اول من يتكلم ، فلما اصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس . وقال لااقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعه الظالمة ، قال أبو جهل . كذبت ، والله لاتشق ، فقال زمعة ، انت والله اكذب ، مارضينا كتابتها حين كتبت ، وقال ابو البخترى ، صدق زمعة ، لانرضى ما كتب فيها ولا نقرُّ به ، فقال المطعم : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ونبرأ الى الله منها ، ومما كتب فيها : فقال هشام نحوا من ذلك ، فلما رأى أبو جهل من إجماعهم قال . هذا أمر قضى بليل ، تشوورَ فيه بغير هذا المكان .

وكان أبو طالب إذ ذاك فى ناحية المسجد . فقام المطعم الى

الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم ، وبهذا يمكن الجمع بين الرواية الماضية ، وبين هذه الرواية : قال رسول الله لابى طالب: ياعم ، إن الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله الا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ؛ فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، فخرج إلى قريش فقال : إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فان كانت كما قال ابن أخى ، علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل ؛ فقال القوم : رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذاهى كما قال - فزادهم ذلك شراً ، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ماصنعوا

ولما مزقت الصحيفة بطل مافيها بالضرورة ، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو المطلب ، وأسلم فى ذلك اليوم بشر كثير ، وقويت نفس أبى طالب واشتد صوته ، وقالوا لهم قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة ، فنكسوا رءوسهم ، وقالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان ، وكان خروجهم من الشعب فى السنة العاشرة من البعثة ، قبل الهجرة بثلاث سنين .

قريش تحول بين الناس وبين رسول الله

ولما لم يفلحوا فى المقاطعة التى استحدثوها ، أرادوا أن يحولوا بين قصاد مكة وبين الرسول ، فاتفق أن الطفيل بن عمرو الدوسى قدم مكة ، فمشى اليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفاً شاعراً لبيبا ، سيدا مطاعا فى دوس ، فحذروه رسول الله وقالوا له فى حديثهم : إنما قوله كالسحر ؛ يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ،

وبين الرجل وبين زوجه ، وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا . فسمع منهم ، ولكنه ذهب إلى رسول الله فوجده قائما يصلى عند الـكعبة فسمع منه ، ثم قال فى نفسه إنى لرجل شاعر ، مايخفى علىّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل مايقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ـ فلما انصرف الرسول إلى بيته تبعه وأخبره بما قال القوم ، فعرض عليه رسول الله الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم ، وقال يارسول الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى . وراجع اليهم ، وداعيهم إلى الاسلام ، فلما رجع دعاهم فتباطئوا ، فعاد إلى رسول الله فشكا له ماهم فيه فقال الرسول : اللهم اهد دوساً إلى الاسلام ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم ، فلم يزل يدعو حتى هاجر رسول الله إلى المدينة ، فقدم عليه بمن أسلم من قومه بخيبر ، فأسهم لهم مع المسلمين ، ثم أقام بالمدينة حتى قبض رسول الله وارتدت العرب ، فسار مع المسلمين إلى اليمامة وقتل شهيداً ، وجرح ابنه عمرو جراحة شديدة

وخرج أعشى قيس إلى رسول الله يريد الاسلام ومعه قصيدته التى يقول فى أولها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

ويقول فيها يخاطب ناقته :

وآليت لا آوى لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقى محمدا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلقى من فواضله ندى

فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش

فسأله عن أمره فأخبره بمقصده ، فقال يا أبا بصير : إنه يحرم الزنا ، فقال مالى فيه من أرب ، قال فانه يحرم الخمر ، فقال أما هذه فوالله إن فى النفس منها العلالات ، ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم ، فانصرف فمات فى عامه ، وكان الذى لقى الاعشى عامر بن الطفيل — ويقول بعض المؤرخين : إن صح حديث الاعشى وما ذكر له فى الخمر ، فلم يك هذا بمكة وإنما كان بالمدينة ، لأن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد بدر وأحد ، غير أن هذا يصح أن ينقض بأن رسول الله حرم الخمر على نفسه ، كما حرمها أشراف قومه على أنفسهم ، وتبعه فى ذلك أصحابه . فكان تحريمها فيما بينهم كالدين المتبع ، والله أعلم .

وجاء رسول الله عشرون رجلا من نصارى الحبشة حين بلغهم خبره ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا دعاهم الى الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به ، وقاموا عن رسول الله ، فانصرفوا ، فاعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم مَن وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوا بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتم بما قال ، فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا .

والغرض من سرد هذه الحكايات أن نبين أن قريشا لم يكفها ايذاء رسول الله ، ومقاطعتها قومه عامة من أجله ، فأخذوا يعملون الحيلة للحيلولة بين رسول الله وبين من يفد على مكة ، حتى لا يكون

بعض الوافدين عرضة الى هداية الله فيسلم ، ويعود الى قومه فينشر دين الله .

وفى هذه الايام كان الاسراء والمعراج . وحديثهما طويل وبخاصة فى أن ذلك كان يقظة أو مناما ، وإن كان الوحى من الله يأتى الانبياء أيقاظاً و نياما ، وإذا كانت المسألة هى النبوة ، والأمر أمر من يقول للشيء كن فيكون ، فلا فرق بين أن يكون الاسراء بجسده أو بروحه فكلتا الحالتين فى حيز القدرة الآلهية .

وفاة خديجة وأبى طالب

وقبل الهجرة بثلاث ماتت خديجة ، وكانت للرسول وزير صدق ، وبعدها بثلاثة أيام مات أبو طالب ، فروى أن الرسول قال : اجتمعت على هذه الأمة فى هذه الايام مصيبتان لا أدرى أنا بأيهما أشد جزعا : يعنى موت خديجة وأبى طالب ، وكان يقول بعد ذلك: ما نالت قريش منى شيئا أكرهه ، حتى مات أبو طالب – وذلك أن النفر الذين كانوا يؤذون رسول الله كانوا جيرانه ، ولم يسلم منهم إلا الحكم بن أبى العاص وكان أحدهم ، أما الباقون فكانوا يطرحون عليه الاقذار وهو يصلى ، ويحدثون غير هذا مما كانوا لا يطمعون به فى حياة أبى طالب، ولقد كان يعترضه السفيه منهم فينثر التراب على رأسه .

خروجه الى الطائف — ولما مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله مالم تكن تنال منه فى حياة عمه ، خرج إلى الطائف ، بعد موت خديجة بثلاثة أشهر – وكان معه زيد بن حارثة – يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله

عز وجل ، فلما انتهى إلى الطائف عمد الى ثلاثة نفر من ثقيف هم يومئذ سادة قومهم واشرافهم وهم عبد ياليل (كهابيل) ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير ، فجلس إليهم الرسول فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم به من نصرته ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الثاني : أما وَجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال الآخر والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغى لى أن أكلمك — فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، ثم قال لهم : أكتموا عنى ، (كره أن يبلغ قومه عنه ذلك فيزيدهم عليه) فلم يفعلوا ، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس والجئوه الى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه ، فعمد إلى ظل كرمة فجلس فيه ، وهما يريان مالقى من سفهاء أهل الطائف وهو يقول : اللهم أشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، فتحركت له رحمهما ، فدعوا غلاما نصرانيا كان لهما وقالا له : خذ قطفا من العنب ، ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، فلما وضع رسول الله يده فيه ليأكل قال . باسم الله ، فقال الغلام : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فسأله الرسول عن بلده ودينه فقال : نصرانى من أهل نينوى ، فقال النبي : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال الغلام : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبي : فأكب الغلام على الرسول يقبل رأسه ويديه

وقدميه وآمن به ـ ثم عاد رسول الله الى مكة في جوار المطعم بن عدي بعد أن عرض الجوار على غيره من رؤساء قريش فاعتذروا عما قبله منهم

عرض رسول الله نفسه على القبائل

ولما قدم الرسول مكة شرع يعرض نفسه على القبائل في المواسم ، يدعوهم الى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به ؛ وكان يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يابني فلان إني رسول الله اليكم ، فكان عمه أبو لهب عبد العزى ابن عبد المطلب يلازمه ويقول من خلفه : يابني فلان إن هذا إنما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزي من أعناقكم ، الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه

وأتى رسول الله كندة في منازلهم ، فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه . وكذلك بنو كلب وبنو حنيفة الذين ردوا عليه ردا لم يك أحد من العرب أقبح منهم فيه

وأتى بني عامر بن صعصعة ، فقال له رجل منهم وهو بيجرة بن فراس : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الامر من بعدك ؟ قال الامر إلى الله يضعه حيث يشاء ، فقال : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله ، كان الامر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه ، ولما صدروا رجعوا الى شيخ لهم فذكروا له حديث الموسم ، وما كان من رسول الله في دعوته وما كان منهم في إبائهم ، فقال : يا بني عامر هل لها من تلاف ، هل لذناباها من مطلب ؟ والذي نفسي بيده ما تقوّلها اسماعيلي قط ، وأنها

لحق ، فاين رأيكم كان عنكم؟

ثابر رسول الله على عرض نفسه على القبائل فى المواسم ، وكان مع هذا يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنـة وذى المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، فلا يجد من ينصره ؛ بل كانوا يقولون قومك أعلم بك . ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله ، وكان من هؤلاء سويد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف ، قدم حاجا أو معتمرا ، وكان قومه يسمونه الكامل ، لجلده وشرفه ونسبه ؛ فتصدى له رسول الله حين سمع به ، فدعاه الى الله والى الاسلام فقال سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى ، قال الرسول وما معك؟ قال : مجلة لقمان يعنى حكمته ، فقال له النبى : اعرضها ؛ فعرضها عليه ، فقال الرسول إن هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور ، وتلا عليه القرآن ، ودعاه إلى الاسلام ، فلم يبعد منه ، ثم انصرف إلى المدينة فقتل يوم بُعاث .

بدء اسلام الانصار

الانصار جمع ناصر أو نصير ، وتسميتهم بالانصار حينئذ باعتبار المآل ، إذ لم يك (الانصار) اسما لهم فى الجاهلية ، حتى سماهم الله به فى الاسلام وحدهم ، لأنهم الذين نصروا النبى وآووه ومن معه ، وواسوهم بأموالهم وانفسهم . وهم بنو الأوس والخزرج سكان المدينة ، وكانت بينهم حروب على الملك ، فلما أراد الله إظهار دينه واعزاز نبيه ، وإنجاز موعده له ، خرج فى الموسم فعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع . فبينما هو عند العقبة الاولى ، عقبة الجمرة ، لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم

خيرا ، فقال لهم من أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمن موالى يهود ؟ أى من حلفائهم ، قالوا : نعم ، قال أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا . بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، وكان اليهود يقولون لهم إذا كان بينهم شيء من خصومة أو حرب ، إن نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله أولئك النفر ، عرفوا النعت ، فقال بعضهم لبعض : ياقوم تعلّموا والله انه للنبي الذى توعّدكم به يهود ، فلاتسبقنكم اليه ، فأجابوه وصدقوه ، وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولاقوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه ، فلارجل أعز منك ، وموعدك الموسم العام المقبل . ثم رجعوا إلى قومهم وكانوا ستة نفر كلهم من الخزرج منهم أبو امامة سعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، ورافع بن مالك بن العجلان ، فلما قدموا على قومهم دعوهم إلى الاسلام فأجابوا ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ، حتى اذا كان العام القابل وافى الموسم اثنا عشر رجلا خمسة من السته الاولى وسبعة جدد ، منهم معاذ بن عفراء أخو عوف ، وعبادة بن الصامت ، فلقُوا رسول الله بالعقبة وهى العقبة الثانية ، فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء ، إذ لم يك قد افترض الحرب ،

حدث عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله ليلة العقبة : على

ألاّ نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فقال ﷺ ، فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئًا ، فأمركم الى الله عز وجل ، إن شاء غفر وإن شاء عذب ـ فلما انصرفوا أرسل اليهم مصعب بن عمير ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم فى الدين ، ويجمِّع بهم ، فكان يسمى بالمدينة المقرىء . وبعد ذلك أسلم أشرافهم ومنهم سعد بن معاذ الاوسى ، وأُسيد بن حُضير الاوسى ، وأسلم باسلامهما جميع بنى الاشهل فى يوم واحد ، الرجال والنساء ، ولم يكن فيهم منافق ولا منافقة ، ثم فشا الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون

ثم إن مصعب بن عمير عاد الى مكة ، وخرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الانصار المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله العقبة من أوسط أيام التشريق وهى العقبة الثالثة ، وكان معهم البراء بن معرور ، فكان يصلى إلى الكعبة فلم يتبعه المسلمون ، وقالوا : والله مابلغنا أن نبينا يصلى إلا إلى الشام ، ومانريد أن نخالفه ، فظلوا على حالهم ، وظل على حاله ، حتى قدموا مكة ، فسأل البراءُ رسول الله ، فقال له : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها ، فرجع الى قبلة الرسول ، وصلى الى الشام ، ولم يأمره باعادة ما قد صلى لانه كان متأولا

ولما فرغوا من الحج وكانت الليلة التى واعدوا رسول الله لها ، خرجوا ومعهم أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام ، وكانوا يكتمون أمرهم من

معهم من المشركين ، وبعد أن مضى ثلث الليل تسللوا تسلل القطا مستخفين ، حتى وصلوا إلى الشعب من العقبة : وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا ومعهم امرأتان : نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو ، فطلع عليهم رسول الله ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه : الا أنه أحب ان يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له — فكان العباس أول متكلم قال : يامعشر الخزرج (على التغليب) أن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وأنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم . فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعوه ممن خالفه . فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وأن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه فى عز ومنعه فى قومه وبلده ، فقالوا : سمعنا ماقلت ثم قالوا تكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت : فتكلم الرسول فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب فى الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم ، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أُزُرَنا ، فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة : ورثناها كابرا عن كابر ، فاعترض أبو الهيثم بن التيهان وقال : يارسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا ، وأنا قاطعوها ، يعنى اليهود : فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.

أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم ، فانتخبوا

تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الاوس ، منهم أسعد بن زرارة وهو أبو أمامة ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عبادة — من الخزرج وأسيد بن حضير ، وآخران من الاوس ، فقال لهم رسول الله : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، يعني المسلمين ؛ قالوا نعم ، وهذه هي بيعة العقبة الثالثة ، وكانت على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وعلى النصرة اذا قدم عليهم ، وعلى حرب الأحمر والأسود ، يعني العرب والعجم ؛ ثم قال لهم رسول الله . أرفضوا الى رحالكم ، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة الخزرجي والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ، فقال : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعوا وناموا

أمر قريش بعد العقبة الآخرة

ولما أصبحوا غدت عليهم جلة قريش فقالوا : يامعشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فصمت المسلمون وانبعث المشركون يحلفون بالله ماكان من هذا شيء وما علمناه (وقد صدقوا اذ لم يعلموه) فقام القوم ، ويقال أنهم اتوا عبد الله بن أبي ابن سلول فقالوا له مثل ذلك فقال : ان هذا الأمر جسيم ، ماكان قومي ليتفوتوا عليّ بمثل هذا ، وما علمته كان ، فانصرفوا عنه

وتنطس القوم الخبر (أي أكثروا البحث عنه) فوجدوه صحيحاً .

نفرجوا فى طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله ، وأقبلوا به يضربونه ويأخذون بجمته ، وكان ذا شعر كثير ، ويجرونه، فلم يخلصه منهم إلا أبو البخترى ابن هشام ، إذ أوى اليه وقال ويحك ! أما كان بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال بلى والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم ابن عدى ، وللحرث بن حرب بن أمية تجارتهما ، قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ففعل ، وجاءهما من قال لهما : إن رجلا من الخزرج ليضرب بالأبطح ، وانه ليهتف بكما ، قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالا : صدق، فذهبا فخلصاه.

ولما وصل الانصار المدينة أظهروا الاسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لا يزالون على دينهم من الشرك ، ومنهم عمرو بن الجموح وكان سيداً من سادات بنى سلمة وأشرافهم ، وقد أسلم ابنه معاذ وشهد العقبة وبايع الرسول ، فأسلم .

هذا — والملحوظ فى بيعة العقبة الآخرة أنها كانت على حرب الاحمر والاسود ، أما ماعداها فكانت بعد الاسلام ، على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، إذ كان رسول الله لم يؤذن له فى الحرب ، ولم تحالل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء الى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل .

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم من بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه ، وبين معذب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فراراً منهم — فلما عتت قريش على

الله ، وردوا عليه ما أراده بهم من الكرامة ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من عبده ووحّده وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم .

فلما أذن له الله تعالى بذلك ، وبايعه هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله أصحابه بالخروج الى المدينة ، والهجرة إليها ، واللحوق باخوانهم من الانصار ، وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها » فخرجوا أرسالا ، وأقام الرسول بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة .

وكان أول من خرج الى المدينة أبو سلمة المخزومى أخو المصطفى من الرضاع وابن عمته برة ، قدم من الحبشة لمكة فآذاه اهلها ، وبلغه اسلام من أسلم من الأنصار الاثنى عشر ، فخرج اليهم . ثم عامر بن ربيعة ، وعبد الله ابن جحش ، وأخوه أبو أحمد وبقية أهله ، حتى غلقت دار بني جحش ، ومر بها أبو جهل فقال : هذا عمل ابن أخي هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا وقطع بيننا ، ثم تابع المسلمون الهجرة ، فهاجر عمر بن الخطاب ، واخوه زيد ، وطلحة والزبير ، وصهيب وحمزة ، وزيد بن حارثة ، وعثمان ابن عفان ، وغيرهم ولم يتخلف أحد من المسلمين الا من حبس أو فتن ، الا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق .